OPEN ACCESS
Received: 19/06/2025
Accepted: 10/09/2025

مجلة الآداب

Intoxication in the Holy Quran: An Objective Study

Dr. Aljazi Saeed Hamad Al-Qahtani *
aljaza2030s@gmail.com

Abstract

This study investigates the diverse meanings of the term "intoxication" as it appears in six distinct contexts within the Holy Qur'an, emphasizing their coherence and the absence of contradiction. It underscores the indispensable role of Quranic context in interpretation and the scholarly efforts to elucidate its nuances. Through inductive, deductive, and analytical methods, the research aims to identify a unified conceptual core of the term, revealing its varied implications—ranging from mental obscuration, magic and possession, misguidance, and the physical intoxicant, to confusion and the soul's departure at death. Structured into an introduction, two chapters, and a conclusion, the study affirms that contextual analysis is essential for accurate exegesis.

Keywords: Connotations of the Word Intoxication, Magic, Delusion, Soul-stripping.

* Assistant Professor of the Qur'an and its Sciences - Department of Islamic Culture - College of Education and Human Development - Bisha University - Kingdom of Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Qahtani, A. S. H. (2025). Intoxication in the Holy Quran: An Objective Study, *Journal of Arts, 13*(4), 753 -777. https://doi.org/10.35696/joa.v13i4.2872

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 19/ 06/ 2025
تاريخ القبول:10/ 09/ 2025

مجلة الآداب

السُّكْر في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. الجازي سعيد حمد القحطاني*
aljaza2030s@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان تعدد معاني لفظة السُّكر في القرآن الكريم، وبيان تناسقها وعدم تناقضها، وبيان دور علماء الأمة في تجلية غوامضها، وبيان دور السياق القرآني في فهم ألفاظه ومعانيها، وأن السياق لا غنى عنه لمفسر القرآن. ومحاولة الوصول إلى معنى عام محوري للفظة السُّكر في القرآن. وقد اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، المبحث الأول: الإطار اللغوي والسياقي للفظ السُّكْر في القرآن الكريم، المبحث الثاني: المعاني السياقية للفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم، وبيان المراد منها، وقد استخدمت المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والتحليلي. أما عن النتائج، فمنها: أن لفظ "السُّكْر" قد ورد في القرآن في "ستة مواضع"، ولكل منها معنى يختلف عن الآخر، فتارة يراد بها "غطاء العقل"، وأخرى يقصد بها "السحر والأخذ" وأحيانًا: يراد بها الضلال والغفلة، ومرة يعنى بها المُسْكر بذاته، وترد بمعنى الحيرة والاضطراب، وتأتي بمعنى نزع الروح وقت الموت.

الكلمات المفتاحية: دلالات لفظ السُّكْر، السحر، الضلال، نزع الروح.

* أستاذ القرآن وعلومه المساعد - قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية والتنمية البشرية - جامعة بيشة- المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: القحطاني، ا. س. ح. (2025). السُّكْر في القرآن الكريم دراسة موضوعية، *مجلة الآداب*، *13*(4)، 753- 777
https://doi.org/10.35696/joa.v13i4.2872

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة

الحمدُ للَّه ذي النعمِ الجليلةِ، والمِنَنِ الجزيلةِ، الداعي إلى الرشادِ، والهادِي إلى السدادِ، ذي الفَضْلِ الجسيمِ والإحسانِ العميمِ، الشاملِ لطفُه، الكريمِ عطفُه، الغالبِ سلطانُه، الواضحِ برهانُه، المتم نورَه، المعلي دينه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده المجتبى ورسوله المرتضى، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى، أما بعد:

فقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بالمصطلحات صياغة ودلالة، وتوظيفًا، وأعطى له خصوصية بحيث لا يختلط على القارئ، فيميزه عن غيره؛ وقد باتت الحاجة للتعرف على المصطلحات، والتعمق في دراسته أكثر إلحاحا؛ لما هو مشاهد اليوم في الأمة من انحراف في الفهم والتوجيه، نتج عنه ركام من الفوضى في الخلط بين المصطلحات، أما إذا تم التعرف على المصطلح القرآني، وفهمه فهمًا دقيقًا فسيؤدي ذلك إلى الفهم الصحيح للسياق القرآني وتدبره، ومن ثم حسن التطبيق والعمل.

لقد أدرك المسلمون عظمة كتاب الله، فاعتنى به أهل العلم سلفًا وخلفًا، ويشهد التاريخ أن أمتنا الإسلامية قد خدمت القرآن الكريم بما لم تخدم به أمة كتابها، وبذل العلماء الغالي والنفيس في سبيل تحقيق ذلك، وأخبارهم في ذلك مشهورة، وأعمالهم -إن شاء الله- مشكورة حتى زخرت المكتبة العربية والإسلامية بتراثٍ مجيدٍ من تراث علمائنا الأعلام، ولا تزال هذه الثروة مفخرة نباهي بها أهل الأرض في كل عصر ومصر.

وقد أردت أن أشارك في وضع لبنة صغيرة في هذا الجهد؛ من خلال بيان تعدد معاني اللفظ الواحد في القرآن الكريم، وبيان تناسقه وعدم تناقضه؛ فجاء بحثي هذا موسوما بـ: "السُّكْر في القرآن الكريم - دراسة موضوعية".

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على جمع وتتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «السُّكْر» دون التطرق إلى غيره من الألفاظ إلا ما استدعاه المقام والحاجة.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

تكمن مشكلة البحث في أن لفظة السُّكر في القرآن الكريم من الألفاظ التي وردت بمعان متعددة، مما قد يترتب عليه عدم فهم صحيح ومنضبط لمقاصد الآيات التي وردت فيها اللفظة.

وقد تفرع عن هذه المشكلة التساؤلات التالية:

1- ما مفهوم «السُّكْر في اللغة، والاصطلاح»؟

3- كم عدد المرات التي ورد فيها لفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم؟

4- ما المعاني التي اشتمل عليها لفظ «السُّكْر» في الآيات التي ورد فيها؟

5-هل لفظ «السُّكْر» له دلالة فقهية أم لا؟

أسباب اختيار الموضوع:

ثمة أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع، أذكر منها:

أولًا: ضبط هذا المصطلح، واشتمال لفظ "السُّكْر" على بعض المغالطات العلمية التي يتمسك بها بعض المشككين في كتاب الله -عز وجل-، فأردت الدفاع عن ساحته، ونفي الريب عنه بأسلوب علمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ثانيًا: بيان عظمة القرآن الكريم، وأنه من عند الله -تعالى- فاللفظ قد يكون واحدًا ومع ذلك يختلف معناه حسب السياق الذي ورد فيه دون تناقض أو تضارب بين هذه المعاني مما ينبئ عن إلهية مصدره، وغزارة معانيه، وتدفق أسراره.

ثالثًا: المساهمة في إثراء المكتبة القرآنية بهذا البحث خدمة لكتاب الله -جل وعلا-.

أهمية الموضوع:

1- تعد مادة السُّكر في القرآن من المواد متنوعة الدلالة، والتي تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وبيان مقاصدها.

2- يعد الفهم الصحيح لمقاصد القرآن مطلبًا شرعيًّا في ظل انحراف في الفهم والتوجيه، والسكر من المصطلحات القرآنية التي تحتاج إلى تحرير مفهومها.

3- تعد الدراسة سلسلة من سلاسل الفهم الصحيح للسياق القرآني وتدبره، ومن ثم حسن التطبيق والعمل به.

أهداف الموضوع:

1- بيان تعدد معاني لفظة السُّكر في القرآن الكريم، وبيان تناسقها وعدم تناقضها، وبيان دور علماء الأمة في تجلية غوامضها.

2- بيان دور السياق القرآني في فهم ألفاظه ومعانيها، وأن السياق لا غنى عنه لمفسر القرآن.

3- محاولة الوصول إلى معنى عام محوري للفظة السُّكر في القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء لم أقف -حد علمي- على بحث علمي تناول ظاهرة ((السُّكْر في القرآن الكريم- دراسة موضوعية-)) ودراسته من الناحية التفسيرية الموضوعية؛ من هنا شمرت عن ساعدي، واستعنت بالله -تعالى- لدراسة هذا الموضوع.

المنهج المتبع في البحث:

لقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والتحليلي في هذا البحث من خلال جمع وتتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «السُّكْر»؛ وبيان معانيها حسب اختلاف السياق الذي وردت فيه، ثُمَّ تنسيقها؛ ووضع الآيات في المبحث الخاص بها، وعزوها إلى مواضعها من سورها، مسترشدة بما سطره أهل العلم قديمًا وحديثًا، ومراعيةً الدقة والأمانة العلمية عند النقل.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: احتوت على أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، والهدف من دراسته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: الإطار اللغوي والسياقي للفظ السُّكْر في القرآن الكريم، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم «السُّكْر في اللغة والاصطلاح».

المطلب الثاني: المواضع التي ورد فيها لفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: دور السياق في تحديد المعنى المراد من اللفظ القرآني.

المبحث الثاني: المعاني السياقية للفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم، وبيان المراد منها، ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: غطاء العقل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّسَاء: 43].

المطلب الثاني: تعطيل الرؤية أمام الآيات:﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحِجْر: 15].

المطلب الثالث: الضلال والغفلة: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحِجْر: 72].

المطلب الرابع: المسكر بذاته ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النَّحل: 67].

المطلب الخامس: الذهول من شدة الهول: ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ [الحَج: 2].

المطلب السادس: الكرب والشدة التي تتغشى المحتضر عند الموت: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19].

النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار اللغوي والسياقي للفظ السُّكْر في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم «السُّكْر في اللغة والاصطلاح»

قبل الدخول في بيان معاني "ألفاظ السُّكْر" التي وردت في القرآن الكريم ينبغي أن أعرج سريعًا على معنى «السُّكْر في اللغة والاصطلاح».

مفهوم «السُّكْر في اللغة»:

"السُّكْر": مصدر "سَكَرَ": السِّينُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى حَيْرَةٍ، مِنْ ذَلِكَ السُّكْر مِنَ الشَّرَابِ[1].

وسَكَرْتُ النهرَ أَسْكُرُهُ سَكْرًا، إذا سَدَدْته، والسُّكْر بالكسر: العَرِمُ، وسَكَرَتِ الريحُ تَسْكُرُ سُكورًا: سكنتْ بعد الهبوب، وسَكْرَةُ الْمَوْتِ: شِدَّتُهُ.

والسّكْران: خلافُ الصاحي، والجمع سَكْرى وَسَكارى، والمرأةُ سَكْرى، والسُّكْر ثَلَاثَةٌ: سُكْرُ الشَّبابِ وسُكْرُ المالِ وسُكْرُ السُّلطانِ.

والمِسْكيرُ: الكثير السُّكْر، والسِكِّيرُ: الدائم السُّكْر، والتَساكُرُ: أن يُرِيَ من نفسه ذلك وليس به سُكْرٌ، والسُّكْر بالفتح: الْخَمْرُ نَفْسُهَا: نبيذُ التمر، وهو نوع من الرطب شديد الحلاوة[2].

من خلال ما سبق تبين لنا أن لفظ "السُّكْر" في اللغة يدور معناه حول: "الحيرة والتردد، والاضطراب، والشدة، والسكون، وسَدُّ الفتحة أو المنفذ الذي يجري منه المائع أو اللطيف فيحتبس أي: يقف جريانه"[3].

مفهوم «السُّكْر في الاصطلاح»:

السُّكْر: حالة تعترض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق أو الخوف أو الحيرة – كما سيأتيك في البحث-[4].

وقيل: السُّكْر: غفلة تعرض بغلبة السرور على العقل بمباشرة ما يوجبها من الأكل والشرب، والسُّكْر: يستر العقل ولا يذهبه بخلاف الجنون فإنه يذهب العقل ويستره[5].

قَالَ الشَّافِعِيُّ: السّكْران: هُوَ الَّذِي اخْتَلَطَ كَلَامُهُ الْمَنْظُومُ، وَانْكَشَفَ سِرُّهُ الْمَكْتُومُ.

وَقَالَ الْمُزَنِيّ: هُوَ الَّذِي لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا بَيْنَ أُمِّهِ وَامْرَأَتِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُفْصِحُ بِمَا كَانَ يَحْتَشِمُ مِنْهُ. وَقِيلَ: الَّذِي يَتَمَايَلُ فِي مَشْيِهِ، وَيَهْذِي فِي كَلَامِهِ، وَقِيلَ: الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ، وَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ: الرُّجُوعُ فِيهِ إلَى الْعَادَةِ، فَإِذَا انْتَهَى تَغَيُّرُهُ إلَى حَالَةٍ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ السّكْران، فَهُوَ الْمُرَادُ بِالسّكْران[6].

وقال أبو حنيفة - رضي الله عنه - السّكْران الذي يحد هو الذي لا يعقل قليلًا ولا كثيرًا، ولا يعقل الأرض من السماء والرجل من المرأة، وقال أبو يوسف - رحمه الله تعالى - ومحمد - رحمه الله - السّكْران هو الذي يغلب على كلامه الهذيان.

وهذا يختلف باختلاف أحوال الناس، منهم من يظهر ذلك منه بأدنى شيء، ومنهم من لا يظهر فيه وإن بلغ به السُّكْر غايته[7].

مما سبق ظهر لنا أن ثمة علاقة جد قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ وأن كلاهما آخذ بعضد الآخر، كما أن المعنى الاصطلاحي يتلخص معناه حول "غيبة عقل الإنسان وزواله سواء كان بتناول شيء مادي محسوس أو شيء معنوي كالخوف والاضطراب، والهيمان والعشق وغير ذلك من أسباب السُّكْر، والله أعلم.

المطلب الثاني: المواضع التي ورد فيها لفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم

كي يكون القارئ على علم بموضوع البحث رأيت أن أقوم بحصر المواضع التي ورد فيها لفظ "السُّكْر" في القرآن الكريم هنا قبل دراستها، فأقول -وبالله التوفيق-:

الموضع الأول: قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّسَاء:43].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ (الحِجْر:15).

الموضع الثالث: قوله سبحانه:﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ٧٢﴾ (الحِجْر:72).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (النَّحْل: 67).

الموضع الخامس: قوله سبحانه:﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ (الحَج: 2).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ (ق: 19).

وبعد حصر وجمع المواضع التي ورد فيها لفظ "السُّكْر" في كتاب الله – عز وجل- تبين أنه قد جاء في "ستة مواضع" لا سابع لها[8]، ولكل منها معنى يختلف عن الآخر – كما سيظهر من خلال هذه الدراسة- إن شاء الله-.

المطلب الثالث: دور السياق في تحديد المعنى المراد من اللفظ القرآني

إن السياق القرآني أصل من أصول التفسير التي لا غنى للمفسر عنها؛ لما له من أثر في فهم مراد الله – عز وجل-، وبيان المعنى الصحيح للآية القرآنية، يقول الشاطبي: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[9].

ويعد السياق من أعظم القرائن في الترجيح، وحل المشكلات والمتشابه؛ "فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة، فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد"[10].

كما أن "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[11].

ويؤكد الزركشي على بُعد آخر للسياق فيقول: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدًا حتى كأن غيره مطروح"[12].

مما سبق يظهر لنا أهمية السياق في النص القرآني، وأنه يعين على بيان المراد، وتحديد المعنى، وبيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف، وأن المفسر لكلام الله ينبغي عليه أن ينظر فيه من جميع جوانبه، ولا يكتفي بالألفاظ وحدها، فالمفردة القرآنية لها معناها اللغوي، ولها معنى آخر يظهر من خلال سياقها، ولا يمكن أن نحدد معناها إلا من خلال مراعاة السياق؛ لأن معنى اللفظة يختلف من سياق إلى آخر، يعلم ذلك من خلال استقراء لفظ "السُّكْر" في آيات القرآن الكريم، كما سيظهر من خلال هذا البحث، وإلا وقع الغلط والانحراف في فهم القرآن الكريم.

قال ابن تيمية: (فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ: تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ، وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ، وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ، وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ الْمُجَرَّدُ عَنْ سَائِرِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ فَهَذَا مَنْشَأُ الْغَلَطِ مِنْ الغالطين؛ لَا سِيَّمَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِالِاحْتِمَالَاتِ اللُّغَوِيَّةِ)[13].

فبين - رحمه الله - أن الاحتمال اللغوي وحده ليس كفيلًا بالإصابة، وإنما لا بد من اقترانه بدلالة السياق حتى يتعين المراد من هذه الاحتمالات اللغوية.

المبحث الثاني: المعاني السياقية للفظ «السُّكْر» في القرآن الكريم، وبيان المراد منها

المطلب الأول: غطاء العقل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾

لما نهى الله -عز وجل- المسلمين فيما سلف عن الإشراك به – تعالى- نهوا ههنا عَمَّا يؤدّي إليهِ منَ حيث لا يحتسبون[14] فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ (النِّسَاء: 43).

اختلف أهل التأويل في"السُّكْر" الذي عناه الله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ على أقوال:

القول الأول: قال بعضهم: عنى بذلك السُّكْر من الشراب، نَقِيض الصَّحْو؛ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

القول الثاني: وقال آخرون: معنى ذلك: لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى من سكر النعاس وغلبة النوم؛ لأن السُّكْر مُحَرَّمٌ فِي الْعَقْلِ وَمَا أُبِيحَ فِي شيء من الْأَدْيَانِ.

عن الضحاك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ قال: "ليست لمن يقربها سكران من الشراب، إنما عُنِي بها سكر النوم"[15]؛ واستدل بما روي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»[16].

القول الثالث: من البول، وهو قول عَبِيدَة السَّلْمَانِي[17]، وقد ذكره الكرماني: "وقال عجيب"[18]؛ واستدل بما جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ وَهُوَ حَاقِنٌ»[19].

والراجح هو القول الأول- والله أعلم-؛ وذلك للأسباب الآتية:

أولًا: أن سياق الآية يدل عليه، ومن قواعد الترجيح "أن القول الذي يدل عليه السياق أولى من غيره؛ لأنه المتبادر للفهم عن إطلاق اللفظ، فهو أولى به وأقرب إليه مع أن غيره من الأقوال محتمل، ولأن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"[20].

قال الفخر الرازي: (وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّحِيحَ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ لَفْظَ السُّكْرِ حَقِيقَةٌ فِي السُّكْرِ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَالْأَصْلُ فِي الْكَلَامِ الْحَقِيقَةُ، فَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى السُّكْرِ مِنَ الْعِشْقِ، أَوْ مِنَ الْغَضَبِ أَوْ مِنَ الْخَوْفِ، أَوْ مِنَ النَّوْمِ، فَكُلُّ ذَلِكَ مَجَازٌ، وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ مُقَيَّدًا)[21].

ثانيًا: الأخبار الصحيحة نصت على ذلك؛ وهو سبب النزول؛ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: "صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الخَمْرِ، فَأَخَذَتِ الخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي فَقَرَأْتُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾(الكَافِرُون: 1- 2)،"وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"؛ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ (النِّسَاء: 43)."[22].

وهو ما رجحه ابن جرير فقال: (وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، تأويل من قال: ذلك نهيٌ من الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر، للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك، نهيٌ من الله، وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه.

فإن قال لنا قائل: وكيف يكون ذلك معناه، والسّكْران في حال زوال عقله، نظيرُ المجنون في حال زوال عقله، وأنت ممن يُحيل تكليف المجانين لفقدهم الفهم لما يُؤمر وينهى؟

قيل له: إن السّكْران لو كان في معنى المجنون، لكان غير جائز أمرُه ونهيه ولكن السّكْران هو الذي يفهم ما يأتي ويذَر، غير أن الشراب قد أثقل لسانه وأجزاء جسمه وأخدَرها حتى عجز عن إقامة قراءته في صلاته، وحدودها الواجبة عليه فيها، من غير زوال عقله، فهو بما أمر به ونهى عنه عارف فَهِمٌ، وعن أداء بعضه عاجز بخدَرِ جسمه من الشراب، وأما من صار إلى حدّ لا يعقل ما يأتي ويذر، فذلك منتقل من السُّكْر إلى الخَبل ومعاني المجانين، وليس ذلك الذي خوطب بقوله: "لا تقربوا الصلاة"، لأن ذلك مجنون، وإنما خوطب به السّكْران، والسّكْران ما وصفنا صفته)[23].

وقال ابن عطية تعقيبًا على القول الثاني: (وهذا ضعيف، والخطاب لجميع الأمة الصالحين، وأما السّكْران إذا عدم الميز لسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت، وإنما هو مخاطب إذا صحا بامتثال ما يجب عليه، وبتكفير ما ضاع في وقت سكره من الأحكام التي تقرر تكليفه إياها قبل السُّكْر، وليس في هذا تكليف ما لا يطاق، على ما ذهب إليه بعض الناس)[24].

ثالثًا: أنه قول الجمهور من العلماء؛ ولذا نصر الكرماني على غرابة القول الثاني، وتعجب من الثالث[25].

قال السمعاني: (فَالْأَصَحّ وَعَلِيهِ أَكثر الْمُفَسّرين أَنه أَرَادَ بِهِ: السُّكْر من الشَّرَاب، وَهُوَ قَول ابْن عَبَّاس، وَالسُّكْر من السُّكْر فَهُوَ أَشد، فالسُّكْر يسد الْعقل والمعرفة، وَالصَّحِيح أَنه فِي السُّكْر من الشَّرَاب)[26].

ولا يخفى علينا أن هذا كان قبل أن ينزل تحريم الخمر[27]؛ فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ:﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البَقَرَة:219) الْآيَةَ، قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النِّسَاء: 43). كَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ يُنَادِي: «أَلَا لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ»، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ (المَائِدَة: 91)، قالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنَا"[28].

قال السعدي: (ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالمسجد، فإنه لا يمكَّن السّكْران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه إلى وجود العلم بما يقول السّكْران.

وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر -في أول الأمر- كان غير محرم، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ (البَقَرَة:219)، ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ (المَائِدَة:90) ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة؛ لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها ولُبها وهو الخشوع وحضور القلب، فإن الخمر يسكر القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق لطعام ونحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح)[29].

وقد اختلف العلماء في "السُّكْر" وماهيته حتى يستحق فاعله الحد، على أقوال:

- فَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ صَاحِبُهُ الرَّجُلَ مِنَ الْمَرْأَةِ، قَالَهُ: جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: "حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ": فَظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّكْرَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الْحُكْمُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ صَاحِبُهُ مَا يَقُولُ.

- وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: السُّكْر اخْتِلَالُ الْعَقْلِ، فَإِذَا خَلَطَ فِي قِرَاءَتِهِ وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْرِفُ حَدَّهُ.

- وَقَالَ أَحْمَدُ بن حنبل: إِذَا تَغَيَّرَ عَقْلُهُ فِي حَالِ الصِّحَّةِ فَهُوَ سَكْرَانُ، وَحُكِيَ عَنْ مَالِكٍ نَحْوُهُ[30].

والراجح من هذه الأقوال -والله أعلم- أن المراد بالسُّكْر هنا "غطاء العقل"، وهي الحالة التي تحصل لشارب الخمر، والتي يفقد معها وعيه، ويسد ما بين المرء وعقله.

قال ابن كثير: (هَذَا أَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِي حَدِّ السَّكْرَانِ إِنَّهُ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، فَإِنَّ الْمَخْمُورَ فِيهِ تَخْلِيطٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَعَدَمُ تَدَبُّرِهِ وَخُشُوعِهِ فِيهَا)[31].

وقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: (إذا خلط في قراءته فهو سكران، استدلالا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ). فَإِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ تَجَنَّبَ الْمَسْجِدَ مَخَافَةَ التَّلْوِيثِ، وَلَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ وَإِنْ صَلَّى قَضَى. وَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ فَأَتَى بِالصَّلَاةِ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الصَّاحِي)[32].

مما سبق يظهر لنا أن النهي عن السُّكْر حال إتيان مواضع الصلاة أو الصلاة في قوله تعالى: النِّسَاءِ ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ﴾ فيه تربية عظيمة للمؤمن؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَقَدْ أَخَذُوا مِنَ الْخَمْرِ، وَأَتْلَفَتْ عَلَيْهِمْ أَذْهَانَهُمْ فَخُصُّوا بِهَذَا الْخِطَابِ، إِذْ كَانَ الْكُفَّارُ لَا يَفْعَلُونَهَا صُحَاةً وَلَا سُكَارَى[33].

وتصدير الكلام بحرفي النداء والتنبيه؛ للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي، وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها، للمبالغة في ذلك[34]؛ ولهذا تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يمنعنا عن الصلاة[35]؛ لأن إقامة الصلاة لا يكون إلَّا من ذوي وعي كامل مدرك لحقائق الأمور وغاياتها، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كان على بعد من الشرب بوقت طويل، وقال: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولم يقل: "لا تدخلوا في الصلاة"؛ لأنَّ النهي عن المقاربة أبلغ من النهي عن الدخول؛ فكان ذلك تربية للنفس المؤمنة، وعلاجًا لترك أمر مذموم ألفوه بأمر حسن عرفوه، وذاقوا حلاوته[36].

قال أبو حيان: (الصَّلَاة قَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ وَأَوْقَاتُ السُّكْر لَيْسَتْ مَحْفُوظَةً عِنْدَهُمْ وَلَا بِمُقَدَّرَةٍ؛ لِأَنَّ السُّكْر قَدْ يَقَعُ تَارَةً بِالْقَلِيلِ وَتَارَةً بِالْكَثِيرِ، وَإِذَا لَمْ يَتَحَرَّرْ وَقْتُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَرَكُوا الشُّرْبَ احْتِيَاطًا لِأَدَاءِ مَا فُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ، وَأَيْضًا فَالسُّكْر يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَمْزِجَةِ الشَّارِبِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ سُكْرُهُ الْكَثِيرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُكْرُهُ الْقَلِيلُ)[37].

المطلب الثاني: تعطيل الرؤية أمام الآيات: ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾

رسم القرآن الكريم صورة عجيبة لعناد المكذبين وجحودهم للحق بعد ما تبين في قوله سبحانه: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحِجر:15).

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ على أقوال:

القول الأول: قال بعضهم: معنى "سُكِّرَت": سدَّت أي: منعت النظر، كما يُسكر الماء فيمنع من الجري بحبسه في مكان بالسُّكْر الذي يسَّكر به، وهذا قول مجاهد، وابن كثير، والضحاك.

القول الثاني: قال آخرون: أخذت، وعمل فِينَا السحر، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وكأن هؤلاء وجَّهوا معنى قوله "سُكِّرَتْ" إلى أن أبصارهم سُحرت، فشبه عليهم ما يبصرون، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من

قول العرب: سُكِّر على فلان رأيه: إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد، فلم يدر الصواب فيه من غيره، فإذا عزم على الرأي قالوا: ذهب عنه التسكير.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لو فتحنا عليهم بابًا من السماء، فظلت الملائكة تعرج فيه؛ لقال أهل الشرك: إنما أخذ أبصارنا، وشبّه علينا، وإنما سحرنا"[38].

والمعنى: أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد: أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها، ورأوا من العيان ما رأوا، لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك[39].

القول الثالث: وقال آخرون: معنى ذلك: عميت، وهذا قول محمد بن السائب الكلبي[40].

والراجح من هذه الأقوال -والله أعلم- هو القول الثاني: "أخذت وسُحرت"؛ للأسباب الآتية:

أولًا: أن هذا المعنى يتفق مع اللغة التي نزل بها القرآن الكريم؛ وقد وضح ذلك ابن جرير فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حد إبصارها، وانطفأ نوره كما يقال للشيء الحار إذا ذهبت فورته، وسكن حد حره: قد سكر يسكر، قال الشاعر:

جـــــاءَ الشِّـــــتاءُ واجْثَـــــأَلَّ القُبَّـــــرُ واســـــتَخْفَتِ الأفْعَـــى وكانـــت تَظْهَـــرُ

وجَعَلَـــتْ عـــــينُ الحَـــــرُورتَسْـــــكُرُ...[41]

أي تسكن وتذهب وتنطفئ، وقال ذو الرّمّة:

قَبْـــــلَ انْصِـــــداعِ الفَجْـــــرِوالتَّهَجُّـــــرِ وخَوْضُـــــهُنَّ اللَّيـــــلَ حـــــينَ يَسْـــــكُرُ[42]

يعني: حين تسكن فورته، وذُكر عن قيس أنها تقول: سكرت الريح تسكر سكورًا، بمعنى: سكنت)[43].

ثانيًا: أن هذا المعنى يدخل فيه بقية المعاني؛ لأن الإنسان إذا أخذ عقله، وسحرت نفسه، سدت أمامه أبواب الحق، فلم يهتد إليه أبدًا؛ فيصير كالأعمى الذي يتخبط خبط عشواء هنا وهناك لا يجد من يقوده للاهتداء إلى بغيته، فكان هذا أبلغ في تصوير المعنى المراد، والله أعلم.

مما سبق يتبين لنا أن لفظ السُّكْر في قوله: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قد دل على فرط تَكْذِيبِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُنْكِرُوا مَا هُوَ مَحْسُوسٌ مُشَاهَدٌ بِالْأَعْيُنِ مُمَاسٌّ بِالْأَجْسَادِ، والْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ، وَهَذَا بِحَسَبِ الْمُبَالَغَةِ التَّامَّةِ فِي إنكار الحق[44].

فعبر بها الكافرون عما يريدون أن يوهموا به عما حدث لأبصارهم من الزيغ، فكانت كلمة "سُكِّرَتْ"، وهي مأخوذة من السُّكْر دالة أشد دلالة على هذا السحر والأخذ في الرؤية، ولا سيما أن هذا السُّكْر قد أصاب العين، واستقل بها، ومعلوم أن الأخذ والخلط من خصائص السُّكْر، فلا يتبين السّكْران ما أمامه، ولا يميزه على الوجه الصواب[45]، وهذا النموذج يثير الاحتقار والسخرية من طريقته في العناد والمكابرة حتى لو رأى دليلًا أمامه لأنكره؛ لأنه محجوب عن رؤية الحقيقة بغطاء المكابرة، المسدل على وجهه حيث يدعي أنه سُحر وأخذ من قبل صاحب الحق[46]؛ فهؤلاء قد فهموا القرآن، وعلموا وجوه إعجازه وولج ذلك في قلوبهم ووقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد، وسمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باب في السماء ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا منها نهارًا وإلى ذلك الإشارة بقوله: "فَظَلُّوا"؛ لأن الظلول إنما يكون نهارًا؛ لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف: "إنَّما أُخذت أَبْصارُنا وسحَرَنا محمد صلى الله عليه وسلم"، وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها[47].

قال الإمام الشوكاني: "وفي هذا البيان لعنادهم العظيم الذي لا يقلعهم عنه شيء من الأشياء كائنا ما كان، فإنهم إذا رأوا آية توجب عليهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، نسبوا إلى أبصارهم أن إدراكها غير حقيقي لعارض السُّكْر أو أن عقولهم قد سحرت وأخذت فصار إدراكهم غير صحيح، ومن بلغ في التعنت إلى هذا الحد، فلا تنفع فيه موعظة ولا يهتدي بآية"[48].

وهكذا فقد صوَّرت الآية الكريمة أن من الناس فريقًا غريقًا في حمأة العناد يقولون: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (الأعراف:132)، ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام :111).

فهؤلاء لا سبيل لنا عليهم، ولا ينفعهم نصحنا إن كان الله يريد أن يغويهم، إذ ليس من شأننا أن نُسمع الصم أو نهدي العمي ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ فإذا هم لا يسمعون، أو يضعون أكفهم على أعينهم؛ فإذا الشمس الطالعة ليست بطالعة ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ (المَائِدَة :41)؛ فهم قوم قد تعطلت أجهزة الاستقبال والتلقي فيهم، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين[49].

المطلب الثالث: الضلال والغفلة: قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

يرى جمهور المفسرين أن قوله سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (الحِجْر:72). كلام معترض بين أجزاء قصة لوط- عليه السلام- مع قومه؛ لبيان أن الموعظة لا تجدى مع القوم الغاوين، ولتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه من سفهاء قومه[50].

وفي المراد بهذه السُّكْرة قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الضلالة، قاله قتادة.

الثاني: بمعنى الغفلة، قاله الأعمش[51].

قال ابن عاشور: "وَالسَّكْرَةُ: ذَهَابُ الْعَقْلِ. مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّكْرِ- بِفَتْحِ السِّينِ- وَهُوَ السَّدُّ وَالْغَلْقُ؛ وَأُطْلِقَتْ هُنَا عَلَى الضَّلَالِ تَشْبِيهًا لِغَلَبَةِ دَوَاعِي الْهَوَى عَلَى دَوَاعِي الرَّشَادِ بِذَهَابِ الْعَقْلِ وَغَشْيَتِهِ"[52].

وفي المُعنى به هنا في الآية قولان أيضًا: الأول: قوم لوط المذكورون في سابق هذه الآية ولاحقها، فيكون المقسم به "لوط -عليه السلام-".

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: "مَا الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ يُقْسِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بحياة لوط ويبلغ به من التشريف مَا شَاءَ، وَكُلُّ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلُوطٍ مِنْ فَضْلٍ يُؤْتِي ضِعْفَيْهِ مِنْ شَرَفٍ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ أَكْرَمُ على الله منه، أو لا تَرَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى إِبْرَاهِيمَ الْخُلَّةَ وَمُوسَى التَّكْلِيمَ وَأَعْطَى ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ، فَإِذَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ لُوطٍ فَحَيَاةُ مُحَمَّدٍ أَرْفَعُ. وَلَا يُخْرَجُ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ"[53].

الثاني: أن المراد قريش، فيكون المقسم به "محمدا صلى الله عليه وسلم".

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى ذكره: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"[54].

قال الفخر الرازي: (قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ لِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ أَيْ فِي غَوَايَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، أَيْ يَتَحَيَّرُونَ فَكَيْفَ يَقْبَلُونَ قَوْلَكَ، وَيَلْتَفِتُونَ إِلَى نَصِيحَتِكَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَمَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ)[55].

والراجح -والله أعلم- هو القول الأول؛ لأن القول الثاني بعيد لا يتفق مع سياق الآيات؛ لأنه ينقطع مما قبله ومما بعده، وعليه فالقسم بنبينا - صلى الله عليه وسلم- تشريفًا له؛ لأن القصة تُقص عليه تعجيبًا له من حال قوم لوط، وإقحام القسم أثناء الكلام وقصر القصص أسلوب عربي معروف[56].

قال ابن الجوزي: (وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: قوم نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء)[57].

لقد وصف الله -عز وجل- قوم لوط -عليه السلام- بالسُّكْرة التي هي فساد العقل، والعمه الذي هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب إفساد العقل، وعمه البصيرة يسكر القلب[58]، فغوايتهم قد أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات؛ ولذا يأس الله نبيه -عليه السلام- من أن يقبلوا قوله ويصغوا إلى نصيحته[59].

قال ابن القيم رحمه الله: (وإنما وصف الله سبحانه اللوطية بالسُّكْرة؛ لأن سكرة العشق مثل سكرة الخمرة كما قال القائل:

سُـــكران ســـكر هـــوى وســـكر مدامـــة ومتـــى إفاقـــة مـــن بـــه ســـكران[60][61]

وقال السعدي: (وهذه السُّكْرة هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يبالون معها بعذل ولا لوم)[62].

مما سبق يظهر لنا أن قوله ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ قد دل على أن السُّكْرة هي ضلالة الطغيان؛ فهي تسكر صاحبها فلا يدرك الحق والصواب، وأشار إلى انغماس قوم لوط -عليه السلام- في الشهوات والأهواء، وتمكنها منهم حتى لا يستطيعون الفكاك عنها في حال من الأحوال حتى وصل بهم الحال إلى فقدان الوعي، والسيطرة على أنفسهم، وقلة الإدراك، والحماقة، وسوء التقدير، فهو قوم أفرطوا في ارتكاب الفواحش، وبالغوا في إتيان الذكران حتى قال فيهم ربنا: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (الشُّعَرَاء: 165- 167)، وقال أيضًا: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الأَعْرَاف: 80)، فكأن حالتهم الأصيلة الدائمة لا يرجى معها أن يفيقوا ولا أن يسمعوا هواتف النخوة والتقوى والفطرة السليمة.

لقد أراد الله – عز وجل- أن يبين تماديهم في ارتكاب تلك الفاحشة؛ لأن في عرض نبي الله لوط أفلاذ كبده على القوم، دليلًا على بلوغ الغاية في الأمر، وأنه بلغ السيل الزُّبى، وجاوز الحزامُ الطبيين، فاستحضر تلك الحالة في مشاهدتك، وتعجب لها، يدلك عليه صيغة المضارع[63].

المطلب الرابع: المسكر بذاته: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾. أشار الله -عز وجل- في آية مكية[64] وردت في "سورة النحل" إلى أن الخمر ليست أمرًا حسنًا فقال تعالى:﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النَّحْل:67)؛ لأنه -سبحانه- جعلها مقابلة للأمر الحسن، ولا يقابل الحسن إلا القبيح، وقد كان هذا النص متضمنًا استهجانًا للخمر، وكان ذلك أول تنبيه للعرب باستهجانها؛ لأنهم كانوا يألفونها في جاهليتهم ويتفاخرون بشربها كما يفعل أهل الجاهلية في هذا الزمان الذي نعيش فيه[65].

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ على أقوال:

الأول: قال بعضهم: عني بالسُّكْر: الخمر، وبالرزق الحسن: التمر والزبيب، وقال: إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، ثم حُرّمت بعد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: الرزق الحسن: ما أحل من ثمرتها، والسُّكْر: ما حرم من ثمرتها.

وعن قتادة، قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، أما السُّكْر: فخمور هذه الأعاجم، وأما الرزق الحسن: فما تنتبذون، وما تُخَلِّلون، وما تأكلون، ونزلت هذه الآية ولم تحرّم الخمر يومئذ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة.

الثاني: وقال آخرون: السُّكْر: النَّبِيذُ الْمُسْكِر بمنزلة الخمر في التحريم، وَهُوَ نَقِيعُ التَّمْرِ وَالزَّبِيبِ إِذَا اشْتَدَّ، والمطبوخ من العصير.

الثالث: وقال آخرون: السُّكْر: هو كل ما كان حلالًا شربه كالنبيذ والخل والرطَب، والرزق الحسن: التمر والزبيب.

عن أبي رَوْق، عن الشعبي، قال: قلت له: ما تتخذون منه سَكَرًا؟ قال: كانوا يصنعون من النبيذ والخل، قلت: والرزق الحسن؟ قال: كانوا يصنعون من التمر والزبيب.

وعن الشعبي، قال: السُّكْر: النبيذ، والرزق الحسن: التمر الذي كان يؤكل، وعلى هذا التأويل، الآية غير منسوخة، بل حكمها ثابت[66].

وقد لخص ابن الجوزي -رحمه الله- هذه الأقوال فقال: (وفي المراد بالسُّكْر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن وسعيد بن جبير، ومجاهد، وإبراهيم، وابن أبي ليلى، والزجاج، وابن قتيبة.

الثاني: أن السُّكْر: الخَل، بلغة الحبشة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الضحاك: هو الخل بلغة اليمن.

الثالث: أن «السُّكْر» الطُّعْم، يقال: هذا له سَكَر، أي: طُعْم، قاله: أبو عبيدة، فعلى هذين القولين الآية محكمة)[67].

والراجح -والله أعلم- أن المراد ب "السُّكْر": ما يسكر من الخمر، و"الرزق الحسن": جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والدبس والزبيب والخل... إلخ؛ للأسباب الآتية:

أولًا: أن هذا التفسير هو المروي عن جمع من الصحابة ومن التابعين؛ وعلى هذا المعنى سار جمهور العلماء من السلف والخلف.

قال ابن العربي: (أسد هذه الأقوال قول ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، والمراد بالسُّكْر الخمر، فتكون هذه الآية منسوخة؛ لأنها مكية باتفاق العلماء، وتحريم الخمر مدني)[68].

ثانيًا: الأصل في العطف أنه يقتضي المغايرة[69].

ثالثًا: أن هذا يتفق مع اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهو يفسر طبقًا لها.

قال الإمام القرطبي: (السُّكْر مَا يُسْكِرُ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي اللُّغَةِ، والْجُمْهُور عَلَى أَنَّ السُّكْر الْخَمْرُ، مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ وَأَبُو رَزِينٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى وَالْكَلْبِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، كُلُّهُمْ قَالُوا: السُّكْر مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَرَتَيْهِمَا وَكَذَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: السُّكْر اسْمٌ لِلْخَمْرِ وَمَا يُسْكِرُ. وَالرِّزْقُ الحسن: ما أحله الله من مرتبهما)[70].

وقال الشوكاني: (وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ اللُّغَةِ بِأَنَّ السُّكْر اسْمٌ لِلْخَمْرِ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَبُو عُبَيْدَةَ، فَإِنَّهُ قَالَ: السُّكْر: الطَّعْمُ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا قَالَهُ جُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ[71]:

بِئْسَ الصِّبَاحَةُ وَبِئْسَ الشُّرْبُ شُرْبُهُمُ ... إِذَا جَرَى فِيهِمُ الْمُزَاءُ وَالسُّكْر

قَالَ الزَّجَّاجُ: قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ هَذَا لَا يُعْرَفُ، وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى خِلَافِهِ وَلَا حُجَّةَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَ غَيْرِهِ أَنَّهُ يَصِفُ أَنَّهَا تَتَخَمَّرُ بِعُيُوبِ النَّاسِ)[72].

وأصحاب الأقوال الأخرى كأنهم يرون أن عطف "الرزق الحسن" على "السُّكْر" من باب عطف الشيء على مرادفه، كما في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المَائِدَة: 48)، وليس من باب العطف المقتضى للمغايرة، فالسُّكْر عندهم ليس هو الخمر، وإنما هو الخل أو العصير أو النبيذ غير المسكر[73].

إشكال وروده:

لقد فهم البعض من لفظ "السُّكْر" الوارد في قوله ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أنها تبيح الخمر، ومن المقررات العلمية في الإسلام أن ما أباحه الله لَا يرد نص صريح بإباحته بل يكون متروكًا لَا نص فيه بالإباحة ولا بالمنع، ولذا يقول علماء الأصول: إنه لَا يكون مباحًا، بل يكون في مرتبة العفو؛ لأن ما فيه من أسباب التحريم قائم، ولكن لَا نص يمنع، فيكون محل عفو الله؛ إذ لا عقوبة من غير نص، فكيف تكون هذه الآية مشيرة بالإباحة؛ والجواب عن ذلك أن ذا الفهم المستقيم لَا يأخذ من هذه الآية دلالة على الإباحة لَا بالإشارة ولا بالعبارة، بل إنها تدل على التحريم بالإشارة، وإن لم تكن قريبة كالإشارة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ ووجه الإشارة إلى التحريم في تلك الآية أن الله سبحانه يمن عليهم بنعمه وذكرها لهم، فذكر أنه سبحانه رزقهم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذوا منه سكرًا، ورزقًا حسنًا، أي أنهم أخذوا منه نوعين متقابلين: أحدهما مسكر، والآخر شراب حسن، وطعام جيد سماه "رزقًا حسنًا"، فتسميته أحد النوعين بأنه رزق حسن، معنى ذلك أن مقابله ليس "رزقًا حسنًا"، بل هو استعمال سيئ لما أنعم الله به، وفي ذلك بلا ريب إشارة إلى أنه مبغض غير مستحسن، ولا يقر من يتخذه كذلك على ما يفعل، فليس في هذه الآية إذًا إشارة إلى الإباحة بل فيها إشارة إلى التحريم أو تصريح بعدم الاستحسان أو ما هو في حكم التصريح من حيث الدلالة اللغوية[74].

هذا، وقد وجاء التدرج في تحريم الخمر على النحو التالي:

المرحلة الأولى: أول ما نزل في الخمر قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾.

المرحلة الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البَقَرَة: 219) كأن السؤال في هذه الآية نتيجة عدم التصريح بالحكم في الآية الأولى، وتعتبر هذه المرحلة أعلى من المرتبة التي قبلها في التحريم حيث صرحت بالإثم، وصرحت بأن الإثم أكبر من النفع، وفي ذلك إشارة إلى أن العاقل لا يقدم على فعل شيء ضرره أكبر من نفعه وأن عليه أن يفكر في ذلك، ولهذا جاءت الفاصلة في الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فكان النص على الإثم توطئة للنص على التحريم ولو في أوقات مخصوصة في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ....﴿٤٣﴾﴾.

المرحلة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٩٠﴾﴾ ؛ وللمتدبر أن يطيل النظر فيما تحويه هذه الآية وما بعدها من تهيئة للتحريم، ومراعاة لواقع القوم وتمكن الخمر منهم فمزج النص القاطع في تحريمها ببيان آثارها وعواقب شربها الخطيرة وآثار طاعة الله وعواقب معصيته[75].

المطلب الخامس: الذهول من شدة الهول: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾:

بيَّن الله- سبحانه- جانبًا من الآثار التي تنتج عن وقع زلزلة الساعة، وأخبر عن بعض مظاهر شدتها ورهبتها فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ (الحج:2).

والخطاب هنا يمكِّنُ أن يكون خطابًا للنبي صلى الله عليه سلم، أو يمكنُ أن يُراد بها كل مكلف يصح أن يتوجه إليه الخطاب، وإنما المرادُ من الأول: التهديدُ بالوقوع، ومن الثاني: التعجبُ من حالهم، أي: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمرُّ بهم، يضطربون اضطراب السّكْران من الشراب[76].

قال الزمخشري: "وتراهم سكارى على التشبيه، وما هم بسكارى على التحقيق، ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله، هو الذي أذهب عقولهم، وطير تمييزهم، وردهم في نحو حال من يذهب السُّكْر بعقله وتمييزه، وقيل: وتراهم سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب"[77].

وقد علق الناصر في "الانتصاف" على عبارة الزمخشري فقال: "العلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: "زيد حمار": إذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول "وما هو بحمار"، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية، بعد أن أثبت السُّكْر المجازي نفي الحقيقي، أبلغ نفي، مؤكد بالباء، والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السُّكْر الذي هو بهم في تلك الحالة، ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله.

والاستدراك بقوله:" ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ راجع إلى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾: كأنه تعليل لإثبات السُّكْر المجازي؛ كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر، وهو السُّكْر المعهود، فما هذا السُّكْر الغريب؟ وما سببه؟ فقال: سببه شدة عذاب الله"[78].

مما سبق يظهر لنا أن لفظ "السُّكْر" هنا قد دل على الحيرة والتردد والاضطراب من شدة الخوف والوجل، والذهول والوهل، وظهور تلك الحال في المخاطبين، وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد[79]، فالناس سيبدون كالسكارى تمايلًا حتى أولئك الذين لم يعاقروا خمرًا، ولم يذوقوا مسكرًا، فهم يترنحون بخطواتهم، ويتبدى السُّكْر في نظراتهم الذاهلة من هول الموقف كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ (الأعلى:13)؛ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ (الحج: 2)، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»[80].

إنه مشهد مزدحم بتلك الرسوم المتماوجة، تكاد العين تبصره، بينما الخيال يتملاه[81].

قال أبو حيان الأندلسي: (أَثْبَتَ أَنَّهُمْ سُكارى عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ ثُمَّ نَفَى عَنْهُمُ الْحَقِيقَةَ وَهِيَ السُّكْر مِنَ الْخَمْرِ، وَذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَيْرَةِ وَتَخْلِيطِ الْعَقْلِ)[82].

المطلب السادس: الكرب والشدة التي تغشى المحتضر عند الموت: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾.

بيّن الحق- تعالى- حالة الإنسان عند الاحتضار، وساعة الوفاة حين تأتيه سكرة الموت فجأة بلا مقدمات، والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد فقال سبحانه: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ (ق: 19).

والمراد بسكرة الموت هاهنا: "الكرب والشدة الذي يتغشَّى المحتضر عند الموت، فيفقد له تمييزه، ويفارق معه معقوله، فشبَّه– سبحانه- ذلك بالسُّكْرة من الشراب إلا أن هذه السُّكْرة مؤلمة"[83]؛ فهي مستعارة من الحالة التي تعرض بين المرء وعقله بجامع أن كلًا منهما يصيب العقل بما يصيب، وجوز أن يشبه الموت بالشراب على طريق الاستعارة المكنية، ويجعل إثبات السُّكْرة له تخييلًا[84].

قال ابن عاشور: (السُّكْرة: اسم لما يعتري الإنسان من ألم أو اختلال في المزاج يحجب من إدراك العقل فيختل الإدراك ويعتري العقل غيبوبة، وهي مشتق من السُّكْر بفتح فسكون وهو الغلق؛ لأنه يغلق العقل، ومنه جاء وصف السّكْران.

والباء في قوله "بِالْحَقِّ": للملابسة، وهي إما حال من سكرة الموت أي متصفة بأنها حق، والحق: الذي حق وثبت فلا يتخلف، أي السُّكْرة التي لا طمع في امتداد الحياة بعدها، وإما حال من الموت، أي ملتبسًا بأنه الحق، أي المفروض المكتوب على الناس فهم محقوقون به أو الذي هو الجد ضد العبث)[85].

فتأمل كيف أن لفظ "السُّكْر" هنا قد أثار الخوف والرعب في النفس البشرية بحيث يستعد العبد لتلك السُّكْرة، ويجعلها ماثلة بين عينيه فلا تغيب عنه طرفة عين؛ ولذا عبر بالماضي "جاءت": هنا وفيما بعد؛ لتحقق الوقوع؛ وهذا أحث على الاستعداد، واستشعار القرب، وهذه طريقة العرب في ذلك(86) كما استعمل الفعل الذي يستعمل فيما فيه مشقة وشدة وصعوبة[87] قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ (هُود: 40)، وقال: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾ (الكَهۡف: 71)، وقال:﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرٗا ٧٤﴾ (الكَهۡف: 74)، وقال: ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـًٔا فَرِيّٗا ٢٧ ﴾ (مَرۡيَم: 27).

تلك السُّكْرة وشدة النزعة تطفئ تلك الشعلة التي تمد كيان الإنسان بالحرارة والحركة، ويبدو وكأنه جثة هامدة، بلا شعور ولا حركة، ولا وعي! ولم ينجُ منها أحد على الإطلاق حتى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة أم المؤمنين، قالت: "لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»[88].

قال ابن عطية:﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾: ما يعتري الإنسان عند نزاعه، والناس فيها مختلفة أحوالهم لكن لكل واحد سكرة، وكان رسول الله ﷺ في نزعه يقول: «إن للموت لسكرات»[89].

وقال ابن الجوزي:"﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾: وهي غَمرتُه وشِدَّتُه التي تَغشى الإنسان، وتَغْلِب على عقله وتدُلُّه على أنه ميت بِالْحَقِّ، وفيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. الثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للإنسان ما لم يكن بيّنًا له من أمر الآخرة"[90].

النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

أولًا: ثمة علاقة جد قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ وأن كلاهما آخذ بعضد الآخر، كما أن المعنى الاصطلاحي يتلخص معناه حول "غيبة عقل الإنسان وزواله سواء كان بتناول شيء مادي محسوس أو شيء معنوي كالخوف والاضطراب، والهيمان والعشق وغير ذلك من أسباب السُّكْر.

ثانيًا: ورد لفظ "السُّكْر" في كتاب الله -عز وجل- في "ستة مواضع" لا سابع لها، ولكل منها معنى يختلف عن الآخر حسب السياق الذي ورد فيه.

ثالثًا: السياق القرآني أصل من أصول التفسير التي لا غنى للمفسر عنها؛ لما له من أثر في فهم مراد الله – عز وجل-، وبيان المعنى الصحيح للآية القرآنية، كما أنه يعين على بيان المراد، وتحديد المعنى، وبيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف، وحل المشكلات والمتشابه.

رابعًا: أكد البحث النهي عن السُّكْر حال إتيان مواضع الصلاة أو الصلاة ؛ لأن فيه تربية عظيمة للمؤمن؛ لأن إقامة الصلاة لا تكون إلَّا من ذوي وعي كامل مدرك لحقائق الأمور وغاياتها، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كان على بعد من الشرب بوقت طويل.

خامسًا: ورد في البحث أن المراد بالسُّكْر هو: غطاء العقل، وهي الحالة التي تحصل لشارب الخمر، والتي يفقد معها وعيه، ويسد ما بين المرء وعقله.

سادسًا: دل لفظ ﴿سُكِّرَتْ﴾ على أنها: "أخذت وسُحرت"؛ واللفظ أشد دلالة على الأخذ في الرؤية.

سابعًا: جاء في مضمون البحث أن السُّكْرة هي ضلالة الطغيان والغفلة التي تسكر صاحبها؛ فلا يدرك الحق والصواب، وهذا يدلك على انغماس قوم لوط – عليه السلام- في الشهوات والأهواء.

ثامنًا: عرض البحث معنى "السُّكْر" في المسكرات من الأشجار في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: وهو أنه: ما يسكر من الخمر، و"الرزق الحسن": جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والدبس والزبيب والخل.

تاسعًا: لفظ "السُّكْر" قد يفيد الحيرة والتردد والاضطراب من شدة الخوف والوجل، وظهور تلك الحال في المخاطبين، وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد.

عاشرًا: كما عرض البحث معنى الكرب والشدة الذي يتغشَّى المحتضر عند الموت، فيفقد له تمييزه، ويفارق معه معقوله، فشبَّه -سبحانه- ذلك بالسُّكْرة من الشراب إلا أن هذه السُّكْرة مؤلمة.

أخيرًا: توصي الباحثة الباحثين والباحثات بأن يتناولوا "المفردة القرآنية"، " ودلالاتها المختلفة في التأثير في نفس المتلقي"، والوقوف عليها في حقل الدراسات القرآنية، ويبينوا جماليات التعبير بها، وما تحملها من دلالات تربوية، ونكات بلاغية، وأن يميطوا اللثام عنها، ويربطوها بالواقع المعاصر، والله أعلم.

الهوامش والإحالات

(1) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 3/ 89.

(2) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة: 2 / 687؛ الرازي، مختار الصحاح: 150؛ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 1/ 281؛ ابن منظور، لسان العرب: 4/ 372.

(3) ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: 2/ 1041.

(4) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 416؛ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 3/ 233.

(5) ينظر: الجرجاني، التعريفات: 120.

(6) ينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر: 1/ 217، 218.

(7) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع: 118/5..

(8) ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:353؛ الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: 272،273.

(9) الشاطبي، الموافقات: 4/ 266.

(10) ينظر: الطبري، جامع البيان: 9/ 389.

(11) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 9/4.

(12) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/ 317.

(13) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 15/ 94.

(14) ينظر: ابو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/ 179.

(15) ينظر: الطبري، جامع البيان: 8/ 375، 377؛ ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 408؛ الرازي، مفاتيح الغيب: 87/10؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 5/ 203.

(16) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري: 53/1، كتاب الوضوء، بَابُ الوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنَ النَّعْسَةِ وَالنَّعْسَتَيْنِ، أَوِ الخَفْقَةِ وُضُوءًا، ح(212)؛ مسلم، صحيح مسلم: 542/1، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، ح(786).

(17) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 5/ 201.

(18) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل: 297/1.

(19) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه: 202/1، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ لِلْحَاقِنِ أَنْ يُصَلِّيَ، ح(617)، وقال الألباني: «صَحِيحٌ».

(20) ينظر: الطيار، فصول في أصول التفسير: 133..

(21) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 87/10.

(22) أخرجه: الترمذي، سنن الترمذي: 238/5، 239، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، ح(3026)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

(23) ينظر: الطبري، جامع البيان:8 / 378، 379.

(24) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 56.

(25) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1/ 297.

(26) السمعاني، تفسير القرآن: 1/ 430.

(27) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 273.

(28) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود: 325/3، كتاب الأشربة، بَابٌ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، ح(3670)، وقال الألباني: «صحيح».

(29) السعدي، تيسير الكريم الرحمن:179.

(30) ابن حبان، البحر المحيط في التفسير: 3/ 650.

(31) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 273.

(32) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 5/ 204.

(33) ينظر: نفسه: 5/ 200.

(34) القاسمي، محاسن التأويل: 3/ 115.

(35) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم: 1/ 144.

(36) ينظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 19، 345.

(37) ابن حبان، البحر المحيط في التفسير: 3/ 649.

(38) الطبري، جامع البيان: 17/ 72.

(39) الزمخشري، الكشاف: 2/ 573.

(40) انظر هذه الأقوال: الطبري، جامع البيان: 17 / 74، 75؛ البغوي، معالم التنزيل: 3/ 52؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 453.

(41) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة: 100.

(42) البيت نسب إلى المثنى بن جندل الطُّهوي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 11/ 100، ولعله محرف عن جندل بن المثنى الطهوي، وبَيْنهما مَشْطُورٌ سَاقِطٌ وهو:... وطَلَعتْ شَمْسٌ عَلَيها مِغْفَرُ.

(43) الطبري، جامع البيان: 17/ 75، 76.

(44) ابن حبان، البحر المحيط في التفسير: 6/ 469.

(45) ينظر: البدوي، من بلاغة القرآن: 59.

(46) ينظر: الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: 312.

(47) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 331، 332.

(48) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 148.

(49) ينظر: دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: 108.

(50) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير:14 / 68؛ طنطاوي، التفسير الوسيط: 8 / 66.

(51) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/ 538؛ الماوردي، النكت والعيون: 3/ 166.

(52) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 68.

(53) الجصاص، أحكام القرآن: 3/ 105.

(54) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 17/ 118.

(55) الرازي، مفاتيح الغيب: 19/ 156.

(56) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز:3/ 370.

(57)ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/ 538.

(58) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 373.

(59) ينظر: الزمخشري، الكشاف: 2/ 585.

(60) ينظر: ديك الجن، ديوان ديكُ الجِن: 287، ولفظ العجز: أَنَّى يفيقُ.

(61) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن: 430.

(62) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 433.

(63) ينظر: الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 9/ 54.

(64) ينظر: الداني، البيان في عدّ آي القرآن: 189؛ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 3/ 55.

(65) ينظر: ابو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 19، 345.

(66) انظر هذه الأقوال في: الطبري، جامع البيان: 17/ 241، 246؛ السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 280؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 3/ 85.

(67) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/ 568، 569.

(68) ينظر: السبت، مختصر في قواعد التفسير: 15.

(69) الجصاص، أحكام القرآن: 3/ 133.

(70) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 128.

(71) الأخطل، ديوان الأخطل: 109. و"المُزاء": الخمرة التي لا خير فيها، الكريهة الطعم والرائحة.

(72) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 210.

(73) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 186.

(74) ينظر: ابو زهرة، زهرة التفاسير: 2/ 699.

(75) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 128/10؛ الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: 451/1.

(76) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 222؛ الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 10/ 433؛ الألوسي، وروح المعاني: 9/ 109.

(77) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل: 3/ 142، 143.

(78) ابن المنير، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف: 3/ 142.

(79) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 92.

(80) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري: 97/6، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى} [الحج: 2]، ح(4741)؛ مسلم، صحيح مسلم: 201/1، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، ح(222).

(81) ينظر: البغا، ومستو، الواضح في علوم القرآن: 176.

(82) ابو حيان، البحر المحيط في التفسير: 7/ 482.

(83) ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 5/ 89. ابن شرف، الموسوعة القرآنية: 263/8.

(84)الألوسي، روح المعاني: 13/ 332.

(85) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 306.

(86) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 161.

(87) ينظر: السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 97/1.

(88) أخرجه: الحاكم، المستدرك: 505/2، تفسير سورة ق، ح(3731)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي: وقال: "صحيح".

(89) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري: 107/8، كتاب الرقاق، بَابُ سَكَرَاتِ المَوْتِ، ح(6510)، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 161.

(90) ابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 160.

المراجع:

القرآن الكريم.
الأخطل، (1994). *ديوان الأخطل* (مهدي محمد ناصر الدين، شرح؛ ط.1). دارا لكتب العلمية.
الآلوسي، م. (1415). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (ط.1). دار الكتب العلمية.
البخاري، م. (1422). *صحيح البخاري* (محمد زهير، تحقيق؛ ط.1). دار طوق النجاة.
البدوي، أ. (2005). *من بلاغة القرآن*. نهضة مصر للطباعة والنشر.
البغا، م. مستو، م. (1998). *الواضح في علوم القرآن* (ط.2). دار الكلم الطيب- دار العلوم الانسانية.
البغوي، ح.(1420). *معالم التنزيل في تفسير القرآن* (ط.1). دار إحياء التراث العربي.
البيضاوي، ن. (1418). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (ط.1). دار إحياء التراث العربي.
ابن تيمية، أ. (1995). *مجموع الفتاوى* (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
جبل، م. (2010). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم* (ط.1). مكتبة الآداب.
الجرجاني، ع. (1403). *التعريفات* (ط.1). دار الكتب العلمية.
الجصاص، أ. (1994). *أحكام القرآن* (عبد السلام محمد علي شاهين، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.
ابن الجوزي، ع. (1422). *زاد المسير في علم التفسير* (ط.1). دار الكتاب العربي.
الجوهري، إ. (1407). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (أحمد عبد الغفور عطار، تحقيق؛ ط.4). دار العلم للملايين.
الحاكم. (1990). *المستدرك على الصحيحين* (مصطفى عبد القادر عطا، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.
أبو حيان، م. (1420). *البحر المحيط في التفسير*. دار الفكر.
الدامغاني، ح. (د.ت). *الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز* (ط.1). درا الكتب العلمية.
الداني. (1994). *البيان في عدّ آي القرآن* (غانم قدوري الحمد، تحقيق؛ ط.1). مركز المخطوطات والتراث.
دراز، م.(2005). *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*. دار القلم للنشر والتوزيع.
ديك الجن، ع. (2004). *ديوان ديكُ الجِن* (مظهر الحجي، تحقيق). منشورات اتحاد الكتاب العرب.
ذو الرمة، غ. (1995). *ديوان ذي الرمة* (أحمد حسن بسج، تحقيق؛ ط.1). دارا لكتب العلمية.
الرازي، م. (1420). *مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير* (ط.3). إحياء التراث العربي.
الرازي، م. (1999). *مختار الصحاح* (يوسف الشيخ محمد، تحقيق؛ ط.5). المكتبة العصرية.
الراغب الأصفهاني، ح. (1412). *المفردات في غريب القرآن* (صفوان عدنان الداودي، تحقيق؛ ط.1). دار القلم.
الراغب الأصفهاني، ح. (1999). *تفسير الراغب الأصفهاني* (محمد عبد العزيز بسيوني، تحقيق؛ ط.1). كلية الآداب.
الراغب، ع. (2001). *وظيفة الصورة الفنية في القرآن* (ط.1). فصلت للدراسات والترجمة والنشر.
رضا، م. (1990). *تفسير القرآن الحكيم*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الزركشي، م. (1957). *البرهان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء الكتب العربية.
الزمخشري، م. (1407). *الكشاف عن حقائق التنزيل* (ط.3). دار الكتاب العربي.

أبوزهرة، م. (د.ت). *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي.،
السامرائي، ف. (2003). *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل* (ط.3). دار عمار للنشر والتوزيع.
السعدي، ع. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (عبد الرحمن بن معلا اللويحق، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.
ابو السعود، م. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. دار إحياء التراث العربي.
السيوطي، ع. (1990). *الأشباه والنظائر* (ط.1). دار الكتب العلمية.
السيوطي، ع. (د.ت). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. دار الفكر.
الشاطبي، إ. (1997). *الموافقات في أصول الشريعة* (مشهور بن حسن آل سلمان، تحقيق). دار ابن عفان.
ابن شرف، ج. (1420). *الموسوعة القرآنية*، خصائص السور (عبد العزيز بن عثمان التويجزي، تحقيق؛ ط.1). دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
الشوكاني، م. (1414). *فتح القدير* (ط.1). دار ابن كثير.
الطبري، م. (1420). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (أحمد محمد شاكر، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.
طنطاوي، م. (د.ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (ط.1). دار نهضة مصر.
الطيار، م. (1423). *فصول في أصول التفسير* (ط.2). دار ابن الجوزي.
الطيبي، ح. (2013). *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب- حاشية الطيبي على الكشاف* (نخبة من الباحثين، تحقيق، ط.1). جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية.
عبد الباقي، م. (1364). *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. دار الحديث.
العسكري، ح. (1412). *معجم الفروق اللغوية* (بيت الله بيات، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة النشر الإسلامي.
ابن عطية، ع. (1422). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (ط.1). دار الكتب العلمية.
ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق). دار الفكر.
الفيروزآبادي، م. (1996). *بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
الفيومي، أ. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. المكتبة العلمية.
القرطبي، م. (1384). *الجامع لأحكام القرآن* (ط.2). دار الكتب المصرية.
ابن قيم الجوزية، م. (1996). *بدائع الفوائد*. دار الكتاب العربي.
ابن قيم الجوزية، م. (د.ت). *التبيان في أقسام القرآن* (محمد حامد الفقي، تحقيق). دار المعرفة.
الكاساني، م. (2003). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع* (علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، تحقيق). دار الكتب العلمية.
ابن كثير، إ. (1419). *تفسير القرآن العظيم* (ط.1). دار الكتب العلمية.
الكرماني، م. (د.ت). *غرائب التفسير وعجائب التأويل*. دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.
الماوردي، ع. (2019). *النكت والعيون* (السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، تحقيق). دار الكتب العلمية.
مسلم، ح. (د.ت). *صحيح مسلم* (محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق). دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، م. (1414). *لسان العرب* (ط.3). دار صادر.

ابن المنير، أ. (1966). *الانتصاف بما تضمنه الكشاف*. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

النسفي، ع. (1419). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل* (يوسف علي بديوي، تحقيق؛ ط.1). دار الكلم الطيب.

الواحدي، ع. (1411). *أسباب النزول* (كمال بسيوني زغلول، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

الواحدي، ع. (1994). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد* (عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

References

Qur'an.

Al-Akhtal. (1994). *Diwan Al-Akhtal* (Mahdi Muhammad Nasser Al-Din, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Alusi, M. (1415 AH). *The spirit of meanings in the interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Mathani* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Bukhari, M. (1422 AH). *Sahih Al-Bukhari* (Muhammad Zuhair, Ed.; 1st ed.). Dar Tawq Al-Najah.

Al-Badawi, A. (2005). *From the rhetoric of the Qur'an*. Nahdat Misr for Printing and Publishing.

Al-Bagha, M., & Mastour, M. (1998). *Al-Wadih fi 'Ulum Al-Qur'an* (2nd ed.). Dar Al-Kalim Al-Tayyib – Dar Al-'Ulum Al-Insaniyya.

Al-Baghawi, H. (1420 AH). *Ma'alim al-Tanzil in the interpretation of the Qur'an* (1st ed.). Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Al-Baydawi, N. (1418 AH). *The lights of revelation and the secrets of interpretation* (1st ed.). Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Ibn Taymiyyah, A. (1995). *Majmu' al-Fatawa* (Abd Al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, Ed.). King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.

Jabal, M. (2010). *The derived foundational lexicon of the words of the Noble Qur'an* (1st ed.). Maktabat Al-Adab.

Al-Jurjani, A. (1403 AH). *Definitions* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Jassas, A. (1994). *Ahkam Al-Qur'an* (Abd Al-Salam Muhammad Ali Shahin, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Ibn Al-Jawzi, A. (1422 AH). *Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir* (1st ed.). Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Jawhari, I. (1407 AH). *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa-Sihah al-'Arabiyyah* (Ahmad Abd Al-Ghafur Attar, Ed.; 4th ed.). Dar Al-'Ilm Lil-Malayin.

Al-Hakim. (1990). *Al-Mustadrak 'ala Al-Sahihayn* (Mustafa Abd Al-Qadir Atta, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Abu Hayyan, M. (1420 AH). *Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir*. Dar Al-Fikr.

Al-Damaghani, H. (n.d.). *Al-Wujuh wa-l-Naza'ir li-Alfaz Kitab Allah Al-'Aziz* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Dani. (1994). *Al-Bayan fi 'Add Ay Al-Qur'an* (Ghanim Qadduri Al-Hamad, Ed.; 1st ed.). Center for Manuscripts and Heritage.

Daraz, M. (2005). *The great news: New reflections on the Noble Qur'an*. Dar Al-Qalam for Publishing and Distribution.

Dik Al-Jinn, A. (2004). *Diwan Dik Al-Jinn* (Muzhir Al-Hajji, Ed.). Arab Writers Union Publications.

Dhu Al-Rumma, G. (1995). *Diwan Dhu Al-Rumma* (Ahmad Hasan Basaj, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Razi, M. (1420 AH). *Keys of the unseen (The great commentary)* (3rd ed.). Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Al-Razi, M. (1999). *Mukhtar Al-Sihah* (Yusuf Al-Sheikh Muhammad, Ed.; 5th ed.). Al-Maktaba Al-'Asriyya.

Al-Raghib Al-Asfahani, H. (1412 AH). *The lexicon of Qur'anic terms* (Safwan Adnan Al-Dawudi, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Qalam.

Al-Raghib Al-Asfahani, H. (1999). *Tafsir Al-Raghib Al-Asfahani* (Muhammad Abd Al-Aziz Basyuni, Ed.; 1st ed.). Faculty of Arts.

Al-Raghib, A. (2001). *The function of artistic imagery in the Qur'an* (1st ed.). Fassilat for Studies, Translation, and Publishing.

Reda, M. (1990). *The wise Qur'an: Interpretation*. Egyptian General Book Organization.

Al-Zarkashi, M. (1957). *Al-Burhan fi 'Ulum Al-Qur'an* (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' Al-Kutub Al-Arabiyya.

Al-Zamakhshari, M. (1407 AH). *Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Al-Tanzil* (3rd ed.). Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Abu Zahra, M. (n.d.). *Zahra Al-Tafasir*. Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Samarrai, F. (2003). *Rhetorical touches in verses from the revelation* (3rd ed.). Dar Ammar for Publishing and Distribution.

Al-Sa'di, A. (2000). *Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Mannan* (Abd Al-Rahman ibn Mu'alla Al-Luwaheq, Ed.; 1st ed.). Al-Resalah Foundation.

Abu Al-Su'ud, M. (n.d.). *Irshad Al-'Aql Al-Salim ila Mazaya Al-Kitab Al-Karim*. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Al-Suyuti, A. (1990). *Al-Ashbah wa-l-Naza'ir* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Suyuti, A. (n.d.). *Al-Durr Al-Manthur fi Al-Tafsir bi-l-Ma'thur*. Dar Al-Fikr.

Al-Shatibi, I. (1997). *Al-Muwafaqat fi Usul Al-Shari'ah* (Mashhur ibn Hasan Aal Salman, Ed.). Dar Ibn Affan.

Ibn Sharaf, J. (1420 AH). *The Qur'anic encyclopedia: Characteristics of Surahs* (Abd Al-Aziz ibn Uthman Al-Tuwaijri, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Taqrib.

Al-Shawkani, M. (1414 AH). *Fath Al-Qadir* (1st ed.). Dar Ibn Kathir.

Al-Tabari, M. (1420 AH). *Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Ay Al-Qur'an* (Ahmad Muhammad Shakir, Ed.; 1st ed.). Al-Resalah Foundation.

Tantawi, M. (n.d.). *The intermediate interpretation of the Noble Qur'an* (1st ed.). Nahdat Misr.

Al-Tayyar, M. (1423 AH). *Chapters in the principles of tafsir* (2nd ed.). Dar Ibn Al-Jawzi.

Al-Tibi, H. (2013). *Futuh Al-Ghayb in unveiling doubts: Al-Tibi's commentary on Al-Kashshaf* (A team of researchers, Ed.; 1st ed.). Dubai International Holy Qur'an Award.

Ibn Ashur, M. (1984). *Al-Tahrir wa-l-Tanwir*. Tunisian Publishing House.

Abd Al-Baqi, M. (1364 AH). *Concordance of the words of the Noble Qur'an*. Dar Al-Hadith.

Al-Askari, H. (1412 AH). *Lexicon of linguistic distinctions* (Bayt Allah Bayat, Ed.; 1st ed.). Islamic Publishing Institution.

Ibn Atiyyah, A. (1422 AH). *Al-Muharrar Al-Wajiz in the interpretation of the Mighty Book* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Ibn Faris, A. (1979). *Lexicon of language measures* (Abd Al-Salam Muhammad Harun, Ed.). Dar Al-Fikr.

Al-Fayruzabadi, M. (1996). *Discernments in the subtleties of the Mighty Book*. Supreme Council for Islamic Affairs.

Al-Fayoumi, A. (n.d.). *Al-Misbah Al-Munir in explaining unfamiliar terms of the great commentary*. Al-Maktaba Al-'Ilmiyya.

Al-Qurtubi, M. (1384 AH). *The comprehensive book of Qur'anic rulings* (2nd ed.). Dar Al-Kutub Al-Misriyya.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, M. (1996). *Badai' Al-Fawa'id*. Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, M. (n.d.). *Al-Tibyan fi Aqsam Al-Qur'an* (Muhammad Hamid Al-Fiqi, Ed.). Dar Al-Ma'rifa.

Al-Kasani, M. (2003). *Bada'i' Al-Sana'i' fi Tartib Al-Shara'i'* (Ali Muhammad Mu'awwad & Adel Ahmad Abd Al-Mawjud, Eds.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Ibn Kathir, I. (1419 AH). *Tafsir Al-Qur'an Al-Azim* (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Kirmani, M. (n.d.). *Wonders of tafsir and marvels of interpretation*. Dar Al-Qibla for Islamic Culture & Qur'an Sciences Foundation.

Al-Mawardi, A. (2019). *Al-Nukat wa-l-'Uyun* (Al-Sayyid ibn Abd Al-Maqsoud ibn Abd Al-Rahim, Ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Muslim, H. (n.d.). *Sahih Muslim* (Muhammad Fuad Abd Al-Baqi, Ed.). Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Ibn Manzur, M. (1414 AH). *Lisan Al-'Arab* (3rd ed.). Dar Sader.

Ibn Al-Munir, A. (1966). *Al-Intisaf bima tadammanahu Al-Kashshaf*. Maktabat Mustafa Al-Babi Al-Halabi.

Al-Nasafi, A. (1419 AH). *Madarik Al-Tanzil wa-Haqa'iq Al-Ta'wil* (Yusuf Ali Badiwi, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kalim Al-Tayyib.

Al-Wahidi, A. (1411 AH). *Reasons of revelation* (Kamal Basyuni Zaghlul, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Wahidi, A. (1994). *Al-Wasit in the interpretation of the Glorious Qur'an* (Adel Ahmad Abd Al-Mawjud, Ali Muhammad Mu'awwad, Ahmad Muhammad Sira, Ahmad Abd Al-Ghani Al-Jamal, & Abd Al-Rahman Oweis, Eds.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.